مجلة العلوم الإنسانية — عدد 51 - جوان 2019، ص.ص. 363 - 379

الخيانة و الأمانة في الترجمة...إشكالية تحديد طبيعة التكافؤ

Fidelity and disloyalty in translation: the question of determining the nature of equivalence

تاريخ الاستلام : اليوم/الشهر/السنة ؛ **تاريخ القبول :** اليوم/الشهر/السنة

* وهيبة لرقش

كلية الآداب واللغات
قسم الترجمة
جامعة الاخوة منتوري
قسنطينة

ملخص

اختلفت الآراء بين الدارسين والمترجمين في حقل الترجمة حول مفاهيم الأمانة والخيانة وركزت على الحرفية للنص الأصل كمعيار للأمانة، وكل تصرف أو تغيير أو إضافة كان يعد نوعا من التعدى على النص الأصل وكاتبه. إن جوهر هذه القضية يتمثل في طبيعة العلاقة التى تربط الأصل بالترجمة: هل هو تطابق لغوى أو توافق دلالي أم تكافؤ وظيفي أم انصهار للآفاق بين الكاتب والمتلقي؟ تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على إشكالية التكافؤ في الترجمة من خلال التطرق إلى مفهوم التكافؤ وتحديد طبيعته في مختلف المقاربات الترجمية، وصولا إلى نظرية الملاءمة التى تؤسس لتطابق التأويل بين الأصل والترجمة و تدحض كل ادعاءات ومزاعم الخيانة ضد المترجم.

الكلمات المفتاحية: التكافؤ في الترجمة، الأمانة، الخيانة، التأويل، نظرية الملاءمة

Abstract

This research tries to shed some light on the question of equivalence in translation studies. The definition of equivalence between the source and target texts has long been the object of a wide variety of views among the different approaches . Linguistic approaches, for example, insist on the direct relationship between the structures of the source language and those of the target language to assume a given equivalence between the two. Other approaches focus on the similarity of the communicative situations in both texts to claim them equivalent, or they take into consideration the identical effect of the message on the reader(or receiver) in the source and target languages. This paper tracks the development of the notion of equivalence in translation along the different approaches to arrive at the culmination of these studies in what has been known as ‘’the Relevance Theory ‘’.

Keywords: Equivalence, Fidelity, disloyalty, Interpretation, Relevance Theory.

Résumé

La présente étude vise à éclaircir la question de l’équivalence entre le texte source (TS) et le texte cible (TC) en traduction. En fait, la définition de cette Equivalencea été pour longtemps l’objet de plusieurs études dans les différentes approches traductologiques. L’approche linguistique structurelle, par exemple, identifie l’équivalence par la carrespondence directe entre les structures du (TS) et celles du (TC). D’autres approches,par ailleurs,focalisent sur la similitude des situations communacatives dans les 2 textes (TS et TC), ou bien l’effet identique du message sur le destinataire(lecteur), aussi bien dans la langue source que dans la langue cible. Cette recherche délimite le développement de la notion et la nature de l’équivalence en traduction tout au long des approches traductologiques pour,enfin,arriver a la théorie de la pertinence fondée sur l’identité de l’interprétation entre le TS et le TC pour réfuter toutes accusations de trahison contre le traducteur.

Mots clés: Equivalence , fidélité, trahison, interprétation, la théorie de la pertinence .

* Corresponding author, e-mail: ouahibalargueche@hotmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2019.

مقدمة:

كانت الترجمة حاضرة منذ الأزل و حققت نجاحات في ترجمة أعمال كلاسيكية رائدة من مختلف الحضارات. لقد اختلفت مناهج وطرق الترجمة مابين الحرفية و التكييف و التطويع، واختلفت معها الآراء ما بين مؤيد للأمانة للنص الأصل و بالتالى التأكيد على الحرفية، و مؤيد للنص الهدف والتأكيد على ضرورة وضوحه و تألقه ومواجهة تهمة خيانة النص الأصل. من هذا المنظور ظلت الثنائية المعروفة الخيانة-الأمانة قائمة في الترجمة وأدت بعض الآراء إلى اعتبار الترجمات الجميلة غير أمينة(لأنها لم تكن حرفية)، والترجمات الأمينة التى كانت حرفية(تنسج على منوال الأصل) غير جميلة؛ وظل صدى المثل الايطالي المشهور"المترجم خائن" يلاحق المترجمين. إن لب هذه القضية يعود إلى عدم وجود معايير واضحة تحدد وتعرف طبيعة التكافؤ بين الأصل والترجمة، هل هو تكافؤ لغوي أم تطابق ثقافي أو هو التقاء وانصهار للآفاق بين الأصل والترجمة؟

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على إشكالية التكافؤ في الترجمة من خلال التطرق إلى مفهوم التكافؤ في مختلف المقاربات الترجمية وصولا إلى نظرية الملاءمة التى تؤسس لتطابق التأويل بين الأصل و الترجمة وتدحض كل ادعاءات ومزاعم الخيانة ضد المترجم.

1) استحالة الترجمة:

أدت صعوبة المهمة الملقاة على عاتق المترجمين إلى إقرار البعض باستحالة الترجمة، وفي هذا الشأن يتساءل جورج مونى[1] Mounin في كتابه Les Belles Infidèles: هل الترجمة ممكنة؟ و يستعرض إشكالية L'objection préjudicielle أي "الاعتراض المسبق" التى تشير إلى إستحالة الترجمة نظريا وهو يعتمد فى هذا على مبدأ الاختلاف بين اللغات والذى يؤدى حتما إلى خسارة في النص وفي جوهره خلال الترجمة. ينتقد لادميرال ما يفترضه مونى و يعتبر هذا الموقف بمثابة النقطة الصفر في التنظير حول الترجمة، حيث أن الترجمة كانت موجودة منذ الأزل ولا تزال قائمة وبالتالي هى عمل ونشاط ممكن ولا مجال للحديث عن استحالتها. ويستعرض ستاينر[2] Steiner وجهتى نظر فى هذا الشأن مستمدة من فلسفة اللغة: الموقف الأول يعتبر الترجمة ممكنة لكون اللغات تشترك في الكليات اللغوية العميقة(التراكيب و الأدوات اللغوية الأساس في أى لغة) و أما الاختلافات فهى فى الأساس سطحية. و أما

الرأي الآخر فيعتبر استقصاء و تحديد هذه الكليات المشتركة بين اللغات المختلفة بطريقة منطقية و موضوعية أمر صعب خاصة و أنها ذات طبيعة مجردة و معممة وبالتالي تعد هذه الكليات غير مناسبة للدراسة و لا مفر من الإقرار باختلاف اللغات؛ و على هذا الأساس يعتبر هذا الرأي الترجمة الحقيقية مستحيلة.

يعتبر ميشونيك Meschonnic [3]استحالة الترجمة أمرا ناتجا عن نظرية اللغة التى تولى الأهمية القصوى للتراكيب و الرموز اللغوية و بالتالي تقيس التكافؤ بين الأصل و الهدف على أساس تشابه لغوي، ولأن اللغات غالبا ما تختلف فيما بينها يعد الوصول إلى مثل هذا التشابه ضربا من المستحيل مما يدفع إلى القول باستحالة الترجمة عموما و ترجمة الشعر خصوصا، إذن تعود ادعاءات استحالة الترجمة إلى طبيعة التكافؤ المنحصرة في الجانب اللغوى.

2) صعوبة الترجمة:

يقودنا الاقرار باختلاف اللغات و تعدد الثقافات إلى حقيقة صعوبة الترجمة و حجم المعاناة التى يكابدها المترجمون في محاولاتهم نقل نص من لغة إلى أخرى، فيواجهون تحديا مضاعفا: استيعاب جملة أفكار و معاني الأصل و نقلها بأمانة إلى اللغة الهدف، و صياغة نص مترجم(النص الهدف) يكون مستساغا لدى قرائه شكلا و مضمونا، وفي هذا السياق يقول رزفيقFranz Rosenzweig[4] إن "الترجمة تخدم طرفين: الطرف الأول هو النص الأصل و اللغة الأجنبية، والطرف الثانى هو الجمهور المتلقى ولغة الترجمة"، ويعبر عن هذا قائلا:

‘’Traduire, c’est servir deux maitres: l’étranger dans son étrangeté, le lecteur dans son désir d’appropriation…’’

و هنا تظهر معاناة المترجم في محاولة التوفيق بين الطرفين...

فإذا انحاز المترجم للكاتب، للعمل الأصل أو لنقل للغة الأجنبية وقرر استضافتها في الفضاء الثقافي الخاص به، فقد يظهر في عيون الآخرين أجنبيا، بل حتى خائنا. كما يمكن للنص الهدف أن يكون غير واضح لدى القراء لإمعانه و تركيزه على مظاهر الثقافة الأصل.

و أما إن قرر المترجم تكييف العمل الأصل مع أعراف الثقافة الهدف فإنه حتما سينال رضا المتلقيين، و لكنه في المقابل سيعتبر خائنا للنص الأصل.

و قبل روزفيق، عبر شلايرماخر[5] عن هذين التوجهين في الترجمة قائلا"إما أن يترك المترجم الكاتب في سلام و ينقل القارئ إليه، و إما أن يترك المترجم القارئ فى سلام وينقل إليه الكاتب..."

ولهذا يبدو أن المترجم سيكون مجبرا على التوفيق بين الطرفين من دون التعدى على أي منهما ببذل جهد مضاعف في فهم النص الأصل من دون تشويه أو إنقاص، وفي صياغة هذه الأفكار في نص هدف يستجيب لتطلعات و آمال قرائه.

3)المترجم و إشكالية تقديس اللغة لدى المتلقي:

يرجع بارمان [6]Berman إشكالية الأمانة و الخيانة في الترجمة إلى بعض المعطيات الإديولوجية، ويعطى مثالا وهو تقديس اللغة الأم، حيث يعتبر أن جمهور القراء في القرن الـ16 كانوا يستمتعون بقراءة الأعمال الأدبية في مختلف اللغات من دون التساؤل حول الأمانة أو الخيانة لكونهم لم ينشغلوا بتقديس اللغة الأم أمام اللغات الأخرى. فقد يكون هذا التقديس هو لب و مصدر كل الإشكاليات التى تطرحها الترجمة.

وهى الفكرة التى يستعرضها ريكور[7] Ricoeur حينما يتطرق إلى مأساة المترجم بين الأمانة و الخيانة، بين النص الأصل و الهدف؛ حيث ينتقد تقديس اللغة الأم لدى القارئ و معارضته لكل ما يمكن أن يستجد فيها من اللغات الأخرى بفعل الترجمة. و هذا ما أسهم في معاناة المترجم الذي يتوجب عليه في هذه الحال أن يحافظ على اللغة المترجم إليها كعرق نقي لا تشوبها شوائب اللغة المترجم منها. وهذا التوجه نابع من الادعاء بهيمنة و سمو اللغة الأم أمام لغات أخرى ويشبهه ريكور بحال اللاتينية، مثلا، مع نهاية العصور الوسطى و عصر النهضة الأوروبية و حال الفرنسية في العصر الكلاسيكي وحال الأنجلو-أمريكية حاليا. ويستعمل ريكور[8] مصطلح "مقاومة الترجمة" من قبل اللغة المستقبلة في وصفه لمعاناة المترجم أمام هذا التوجه ولا يجد المترجم غير خيار وحيد و هو الأمانة للغة الهدف. فيلجأ إلى تكييف و تطويع النص الأصل بما يخدم مبتغاه، وقد يحصل المترجم في النهاية على نص هدف يرضى المتلقي ولكنه في المقابل سيعد خائنا للأصل...

كما يواجه المترجم محنة أخرى وهي "مقاومة الترجمة" من قبل اللغة الأصل حينما يتشكل النص ككتلة جامدة تقاوم كل محاولة لفك شفرته على مستوى الفهم أو إعادة الصياغة؛ إذ يواجه المترجم صعوبات لا تحصى تجعل من عمله محنة و من آماله في الحصول على ترجمة جيدة أمرا صعبا خاصة إذا تعلق الأمر بنصوص شعرية وفلسفية حيث المجالات الدلالية و الخصائص التركيبية والنحوية نادرا ما تتطابق من لغة إلى أخرى، فيواجه المترجم تهمة الخيانة للنص الأصل.

و يعبر برمان عن هذه المقاومة المزدوجة للترجمة: مقاومة النص الأصل و مقاومة اللغة المترجم إليها قائلا[9]:

''…Le traducteur est ambivalent. Il veut forcer des deux cotés, forcer sa langue à se lester d'étrangeté, forcer l'autre langue à se dé-porter dans sa langue maternelle.''

" المترجم غريب الأطوار، فهو يحاول فرض عمله عبر الاتجاهين معا: يجبر لغته على التآلف مع ما هو غريب عنها، ويجبر اللغة الأخرى على الانحلال في لغته الأم" (ترجمة شخصية)

و لأن تحقيق هذه المهمة المزدوجة صعب، يقترح ريكور[10]التخلي عن فكرة الترجمة المثالية، بمعنى لا مجال للحديث عن ترجمة مطابقة للأصل أو ترجمة تبدو و كأنها كتبت أصلا في اللغة الهدف. وكأنه يقر ضمنيا بحقيقة أن الترجمة تنطوى على ضياع ما في مضمون الأصل أو على مستوى الصياغة في اللغة الهدف؛ إن الترجمة المثالية توافق الأمانة و كل ضياع أو خسارة في الترجمة هي خيانة...إذن، إذا سلمنا بفكرة أن الترجمة المثالية وهم و أنه لا مفر من الإقرار باختلاف اللغات فإننا سنتخلى حتما عن مزاعم الأمانة و الخيانة و سنحاول البحث عن علاقة تكافؤ بين الأصل و الهدف بعيدا عن ادعاءات الربح و الخسارة...

يشير ريكور[11] إلى أن المترجم قادر على التغلب على محنة و مأساة الترجمة إذا بحث عن علاقات تكافؤ من دون تماثل، بمعنى علاقة تربط بين الأصل و الترجمة دون تماثل ظاهري " في التراكيب و العبارات و الألفاظ و النحو...". ويطلق على هذا التعايش و الحوار بين الأصل و الأجنبى مصطلح الاستضافة اللغوية؛ حيث يستضيف المترجم النص الأجنبى في اللغة الهدف كما يستضيف النص الأجنبى المترجم ضيفا على اللغة الأجنبية.

و فيما يلي سنستعرض طبيعة علاقة التكافؤ بين النص الأصل و الهدف عبر مختلف المقاربات الترجمية و نحاول تبيان آراء مختلف الدارسين في هذه المسألة.

4) نظرية التكافؤ في مختلف المقاربات الترجمية:

تطرق العديد من الباحثين إلى إشكالية التكافؤ في الترجمة واختلفت آراؤهم مع اختلاف مقارباتهم الترجمية، فظهر التكافؤ التركيبى و التكافؤ الدلالي و التكافؤ الوظيفي والبراغماتي و أفكار أخرى سنستعرضها فيما يلي.

أ) التكافؤ اللساني التركيبي Equi valence linguistique et Structurelle

يمثل هذا التوجه اللساني عديد الدارسين مثل ياكوبسون و كاتفورد و فينى و داربلنى؛ وغيرهم

* أبحاث ياكوبسون(1959):

تعرض ياكوبسون[12] Yakobson إلى طبيعة العلاقة بين اللغتين الأصل و الهدف، وأشار إلى أنه خلال عملية الترجمة يصعب وجود ألفاظ متكافئة بين لغتين، واعتمد في آرائه على العلاقة بين ألفاظ لغة الأصل و ألفاظ اللغة الهدف و أقر بوجود اختلافات جوهرية بين اللغات على مستوى الألفاظ و التراكيب والتعابير الاصطلاحية. و بالتالي يقول باستحالة وجود تكافؤ تام بين لغة و أخرى ويقوده هذا إلى الإقرار بصعوبة الترجمة.

تعد آراء ياكوبسون بعيدة عن الممارسة اليومية للترجمة لأنه لم يشر إلى السياق و المقام و المعنى خلال الترجمة بل ظلت آراؤه منحصرة في الألفاظ و التعابير بين اللغات.

*أبحاث فيني و داربلني Vinay et Darbelnet (1958) :

قامت هذه الأبحاث على أساس وضع تعابير و ألفاظ في لغة و ما يقابلها في لغة أخرى، و هو العمل الذى قاما به بين الانجليزية و الفرنسية. و كانا يعتقدان أن وضع المقابلات الثنائية بين هاتين اللغتين سيمكن من القيام بالترجمة و تسهيل التقابل على مستوى العبارات و التراكيب النحوية من خلال كتابهما: الاسلوبية المقارنة للانجليزية و الفرنسية. و لكنهما يقران، فيما بعد، أن هذه الأزواج المتقابلة بين لغتين كما هو حال القواميس ثنائية اللغة لا تمثل جوهر و كنه الترجمة لأن الترجمة أوسع و أعقد من كونها تقابل بين عبارات و ألفاظ لغتين. و هو ما أدى بهما إلى الاعتراف بأهمية المقام و السياق لتحديد المعنى لأن التكافؤ بين لغتين يعتمد على السياق وليس مجرد تقابل بين ألفاظ و عبارات و نحو[13].

*أبحاث كاتفورد(1965):

اعتمد كاتفورد Catford[14] بدوره على التطابق اللغوي بين النص الأصل و الهدف وهو يعتبر التكافؤ في الترجمة مبنى على التطابق اللغوي بين وحدات الأصل ووحدات الهدف. و يصنف التحولات التى تحدث على النص الهدف مقارنة بالأصل إلى تغيرات لفظية و نحوية و تركيبية. ويؤكد من خلال تحليله التجريبى لأزواج من النصوص أن التكافؤ النصي هو الحالة التي يكون فيها نص أو جزء من نص في اللغة الهدف مكافئا لنص أو جزء من نص في اللغة الأصل وفق معايير محددة. وأشار أن المكافئ الترجمى النصى الأكبر(الذى يتعدى الجملة) هو مجموع المكافئات الترجمية الصغرى التى يمكن التحقق منها تجريبيا.

تعرضت أفكار كاتفورد لانتقاذ لاذع فيما تعلق بطبيعة التكافؤ بين الأصل والهدف فهو يحصر هذا التكافؤ في الجوانب النحوية و اللفظية و التركيبية و يهمل تأثير العوامل السياقية و الثقافية و التاريخية كما أنه لم يذكر تماما المعنى، و كأن الترجمة تتم حسبه بين عناصر لغوية من دون معنى.

*أبحاث كادى (1968):

قام كادى[15] KADe في عمله بوصف التكافؤ المعجمى من حيث التطابق أو اللاتطابق بين الوحدات المعجمية للغتين، وصنف أربعة أنواع للتكافؤ وهي: التكافؤ الكامل بمعنى التطابق وحدة-وحدة، و التكافؤ الاختياري بمعنى وحدة تقابلها عدة وحدات، و التكافؤ التقريبي بمعنى وحدة تقابلها جزء من وحدة، و التكافؤ المنعدم أو اللاتكافؤ بمعنى وحدة من دون وحدة. و وضع كادى أنواع مختلفة للتكافؤ اللساني منها: التكافؤ الصوتى و الفونيمي و المورفيمي و المعجمى و النحوي و الدلالى.

اهمل كادى في أبحاثه المعنى و السياق و حصره في مجرد تطابق عدد الوحدات المعجمية بين لغتين متجاهلا أن اللغات تختلف في التعابير و الألفاظ و النحو.

ويعتبر بالار[16] Ballard التكافؤ المثالي هو الحرفية، حيث أن الترجمة كلمة-كلمة و نسخ التراكيب مكن المترجمين عبر التاريخ من القيام بوظائفهم كما ينبغي. ويدافع عن موقفه هذا بكون الترجمة حاليا هي عبارة عن مزيج من الحرفية و إعادة التركيب، ولا يعتبر الحرفية منهجا ترجميا سيئا ما دام أنه لا يتعارض مع عبقرية الهدف.

تبدو الأفكار التي يقترحها بالار نوعا ما غريبة لأنه يعتمد على عدد الكلمات في تحديد التكافؤ و هو في هذا المنحى يستدل بما قام به المترجمون الأوائل منذ قرون خلت...

ب) التكافؤ الدلالي(الحرفي) sémantique:

يمثل هذا التوجه الحرفي عديد الباحثين كنيومارك و برمان اللذان يؤكدان على نقل المضمون نقلا حرفيا.

*أبحاث نيومارك(1981):

يؤكد نيومارك[17] Newmark على ضرورة الحفاظ على كل خصائص النص الأصل في النص الهدف و إن اضطر المترجم إلى القيام بإضافات و تغييرات في الهدف فهو يركز على نقل المضمون نقلا حرفيا و يدعو إذن إلى تكافؤ في الدلالة بين الأصل و الهدف من خلال مفهوم الترجمة الدلالية الذى يقترحه في كتابه Approaches to Translation (1981)

*آراء برمان:

يرى برمان أنه لا بد أن يرتكز العمل الترجمى على الحرفية للنص الأصل، بمعنى أن

يحافظ على خصائصه اللغوية و الأسلوبية والتركيبية التى تميزه عن الآخر، حتى يتمكن من مواجهة التوجه الإثنو-مركزي (الذاتية) في الترجمة و كل استراتيجياته التى تميل إلى تشويه الأصل و أقلمته مع الهدف. و يؤكد أن القوالب و الخصائص الثقافية لا بد و أن تحافظ على شكلها المميز بترجمتها عن طريق استراتيجيات التغريب التى تعمل على استضافة الأجنبي كأجنبي وتؤدى إلى إغناء الثقافة الهدف، بدل الاعتماد على التكييف و التطويع الذي يعتبره برمان توجها نحو الذات وطمسا للأجنبي[18].

يظهر جليا من أراء برمان أنه يدافع عن كون الترجمة لها مهمة سامية هى تقديم النص الأجنبي للقارئ في حلته الأصلية الأجنبية وبالتالي على المترجم أن يحافظ على غيرية الأصل من خلال الحرفية، و بالتالي فهو يشجب بإلحاح كل الأفعال التى ترمى بالترجمة إلى خارج الأصل و تحصر الفعل الترجمى في تطبيع النصوص الأجنبية مع المعايير الجمالية للغة الهدف. بل إنه يؤيد الترجمة الحرفية المبنية على تقنيات التعجيم واللامركزية و الهادفة إلى التخلص من الإثنومركزية و التأكيد على غرابة النص الأصل و لأجل مفاجأة و مناقضة التوقعات الأدبية للقارئ والأنماط الثقافية المعروفة لديه، إضافة إلى توسيع الإمكانات اللغوية و الجمالية الكامنة في اللغة الهدف[19].

وبالتالي فإن الترجمة الجيدة تحاكى النص الأصل مادة وشكلا: كونها كل واحد لا يتجزأ شكلا و مضمونا.

يتبين إذن أن برمان يؤكد على العلاقة الحرفية بين الأصل و الهدف؛ فهو تكافؤ دلالي يشبه التكافؤ الدلالي لنيومارك. ويؤكد قائلا[20]:" Toute traduction est, et doit être, restitution du sens".

إن الاقرار باختلاف اللغات يؤدي بنا إلى الإقرار بإمكانية التغيير و الاضافة و التكييف و التفسير في النص الهدف عكس ما يدعو إليه برمان الذي تبدو أفكاره بعيدة عن العمل اليومى للمترجم، بل هى أقرب للتنظير منها للترجمة الفعلية.

ج) التكافؤ الوظيفي(الدينامي) أو البراغماتي:

أكد عديد الباحثين على التكافؤ بين النص الأصل و الهدف على مستوى الوظيفة أو التأثير أو تشابه المقام. تحدث نايدا عن التأثير على المتلقى لاستمالته و تحدثت رايس عن تشابه وظيفة الأصل و الهدف، أما بايكر وهاوس و كولر فاهتموا في دراساتهم بالمقام البراغماتي للحدث و أكدوا على ضرورة وجود تكافؤ براغماتى بين المقامين situations فى الأصل و الهدف.

*أبحاث نايدا(1965):

يدعو نايدا Nida إلى التكافؤ الدينامى و هو إحداث تأثير للنص الهدف على المتلقي يعادل تأثير الرسالة الأصل على القارئ الأصل. يذكر أن نايدا كان يؤكد على التأثير القوي لاستمالة المتلقي و هذه الطريقة استمدها من حملات التبشير و التنصير التى كان يقوم بها لدى بعض المجتمعات و الشعوب من خلال ترجمة الإنجيل، فكان يكيف عباراته و تراكيبه بشكل يفهمه و يستوعبه المتلقي و يؤثر فيه أيما تأثير[21].

يبدو أن الطريقة أو التكافؤ الذي تبناه نايدا موجه في حقيقة الأمر لخدمة غرض و ايديولوجيا و ليس فقط لتمرير مضمون و محتوى، لكون نايدا، من خلال ممارسة الترجمة الدينامية، كان يستميل الجمهور لاعتناق المسيحية. و يشير باحثون آخرون إلى أنه يعود الفضل لنايدا في وضع مفهوم المتلقى receptor و التأكيد على دوره في العملية الترجمية[22].

جدير بالذكر ان هذا الاتجاه الوظيفي أشار إليه نيومارك في مفهوم "الترجمة التواصلية" communicative translation الذى يؤكد فيه على القراء، و يدعو إلى إحداث تكافؤ في التأثير على قارئ الأصل و قارئ الهدف؛ و لو أن نيومارك كان يستشهد في هذا السياق بترجمة أمثلة من العبارات الجامدة و القوالب الشائعة بطريقة مباشرة و سهلة الفهم.

*أبحاث بايكر في التكافؤ البراغماتي (1992):

أكدت بايكر[23]Baker بعد أن أشارت إلى التكافؤ النحوي و النصي على التكافؤ البراغماتي بين النص الأصل و النص الهدف، و هذا التكافؤ يتمثل في تشابه المعنى المضمن في المقام الأصل مع المعنى المضمن في المقام الهدف، و هذا المعنى المضمن implicature هو المعنى الذى تنطوى عليه الرسالة الأصل و ليس المعنى الحرفي المباشر. فالمترجم لا يركز على ما يقال مباشرة، بل عليه استخراج هذا المعنى المضمن من المقام الأصل و نقله إلى المقام الهدف في حدود إمكانية المترجم. و هذا هو ما نعنيه بالتكافؤ البراغماتي، أى تكافؤ أفعال الكلام فى الرسالة الأصل مع أفعال الكلام في الرسالة الهدف.

*أبحاث هاوس (1997):

تبنت هاوس[24]House نظرية براغماتية لاستخدام اللغة، و توصلت دراساتها إلى نموذج ترجمى حيث التكافؤ بين النص الأصل و النص الهدف هو تشابه في الوظيفة

بينهما. ولهذا تتبنى هاوس مفهوم الترجمة covert لتشير إلى النص الهدف الذى يحافظ على نفس وظيفة النص الأصل، أما الترجمة overt فهى التى يكون فيها النص الهدف مغايرا للنص الأصل من حيث الوظيفة.

و يمكن أن نذكر في سياق التكافؤ البراغماتي آراء ميشونيك [25]الذي يدعو إلى تكافؤ في المعنى، في القيمة، في الوظيفة وفي اشتغال النص. و بالتالي فإن الأمانة هى أمانة للمعنى و لجمالية النص وليس للكاتب أو القارئ، بمعنى آخر هي أمانة لبراغماتية النص: أن يفعل النص المترجم ما يفعله الأصل. إن ميشونيك من أنصار جمالية و شعرية الترجمة خصوصا أنه يركز على النصوص الأدبية عموما، حيث يؤكد على أن النص المترجم يجب أن يحمل جمالية و شعرية النص الأدبي، ولا ينحصر في مجرد نقل مضمون ومعاني الأصل.

* فرمبير والسكوبوس و الترجمة

يدعو فرمبير[26] Vermeer إلى اعتماد فكرة "السكوبوس"(مصطلح يعنى الهدف أو الغاية من الترجمة) كمعيار للتكافؤ في الترجمة، وكأنه يفترض علاقة تكافؤ في السكوبوس بين الأصل و الهدف ويتساءل لماذا لا نطبق هذا التوجه في الترجمة الأدبية؟ فكما أن كل فعل له غاية يصبو إليها، كذلك الترجمة، يعتبرها فرمبير فعل تواصلي له غاية أو هدف أو "سكوبوس "...بما في ذلك الترجمة الأدبية، ويستند في هذا على"الأمانة" للنص الأصل التى يعتبرها كهدف ممكن أو "سكوبوس" للترجمة، خاصة في حالة مترجمى الأدب الذين يحاولون محاكاة النص الأصل.

ينتقد العديد من الدارسين فكرة السكوبوس في الترجمة الأدبية كونها تحد و تقيد من التأويل المفتوح للنص الأدبى. و في هذا الصدد ينتقد نيومارك[27] هدا التوجه الوظيفى في الترجمة لأنه يرى فى مفهوم السكوبوس اختزالا و تقليصا لما تحمله النصوص الأدبية من جمالية العبارة و الكلمة و الأسلوب و الأداء و التصوير وقوة الرسالة و المضمون، و يشبه السكوبوس بالمبدأ "التجاري" : الغاية تبرر الوسيلة... The end justifies the means ، وكأن الآداب و الأعمال الفنية الكلاسيكية تنحصر قيمتها في مبدأ السكوبوس!

5) تطور الدراسات حول مفهوم التكافؤ:

إن التطور الحاصل في الدراسات اللغوية و الأدبية فتح آفاقا جديدة لمكانة التكافؤ في الدراسات الترجمية، إذ حاز هذا المفهوم على اعتراف متبادل من طرف بعض الباحثين اللغويين و أتباع الدراسات التاريخية الوصفية. كما أن توسع مجال اللسانيات ليضم

المظاهر المختلفة للتواصل اللغوى و اعتماد الدراسات الأدبية على نظرية الأنظمة ولد تقاربا بينهما حول ضرورة دراسة و تحليل العوامل السياقية و الثقافية التى تؤثر في عملية إنتاج النصوص. و كنتيجة لهذا التقارب حاز مفهوم التكافؤ في الترجمة على نوع من الإجماع حول كونه مفيدا إلى حد ما و هو بالضرورة مفهوم نسبي. و هو ما يقر به كولر[28] في أن التكافؤ نسبي لأسباب عديدة، منها التاريخية و الثقافية و لعوامل لغوية و نصية و غير لغوية، إذ يقول:

« Equivalence is a relative concept in several respects: it is determined on the one hand by the historical-cultural conditions under which texts are produced…

And on the other by a range of sometimes contradictory…linguistic-textual and extra linguistic conditions… »

"التكافؤ مفهوم نسبي لعديد الأسباب: إذ تحدده الظروف التاريخية و الثقافية التى تحيط بعملية إنتاج النصوص من جهة، و مجموعة من السياقات اللغوية-النصية و غير اللغوية، المتناقضة أحيانا...، من جهة أخرى".(ترجمة شخصية)

و من جهة أخرى، وإن كان تورى من أنصار الوظيفية في الترجمة، حيث يعتبر التكافؤ تماثلا في الوظيفة بين النص الأصل و الهدف، فإنه يقر بتداخل عوامل متعددة تؤثر في و توجه هذا التكافؤ الذي يعرفه على أنه مفهوم وظيفى-علائقي تنضوي تحته مجموعة من العلاقات التى وجدت لتميز الأداء الترجمى المناسب عن غيره... قائلا[29]:

« (equivalence is) not one target-source relationship at all, establishable on the basis of a particular type of invariant. Rather it's a functional-relational concept namely;that set of relationships…found to distinguish appropriate(…)translation… »

"(التكافؤ) ليس، على الإطلاق، علاقة خطية مباشرة بين الأصل و الهدف تقام على أساس نمط معين من القواعد الثابثة، بل إنه على الأحرى مفهوم وظيفي-علائقي؛ أي مجموعة من العلاقات الموضوعة لتمييز الترجمة المناسبة"(ترجمة شخصية).

يبدو من إقرار كولر و توري أن مفهوم التكافؤ ليس تلك العلاقة الخطية بين الأصل و الهدف، ولكنه ينطوي على علاقات معقدة تحددها عوامل لغوية و ثقافية و حتى تاريخية والتى تؤدى في النهاية إلى إنتاج وتمييز الترجمة المناسبة عن غيرها.

6) نظرية الملاءمة Relevance Theory

يقترح قوت[30] Gutt نظرية الملاءمة Relevance Theory حول التكافؤ في الترجمة، وينطلق من تقسيم الترجمة إلى ترجمة مباشرة و ترجمة غير مباشرة. فأما النوع الأول فيشير إلى الترجمة التى تتم وفقا للسياق و النوع الآخر هو الترجمة التى تتم من دون الرجوع إلى السياق الأصل. و يفترض أن النوع الأول ينشئ تماثلا بين الأصل و الهدف على المستوى التأويلى للنص من دون الاعتماد على التراكيب اللغوية لكليهما مما يجعل قارئ الترجمة و متلقي النص الأصل يتوصلان إلى نفس التأويل. و في هذا الإطار يورد الباحث مفهوم التكافؤ التوجيهى و يحصره في أنه" تشابه تأويلى بين الأصل و الهدف" و يعتبر أن اللغة لا تقدم إلا الشئ القليل حول المعنى، ليس أكثر من إشارات تواصلية يتوجب تأويلها من طرف المتلقيين.

إذا رجعنا إلى فكرة ريكور الذى يطالب فيها بتكافؤ دون تشابه فإننا نجد أنه لم يشرح طبيعة هذا التكافؤ بل رجح أن يكون تشابها في المعنى و اختلافا فى التراكيب و الصيغ اللغوية. و إذا كان ريكور يبحث عن هذا المعنى في عمليات افتراضية بين الأصل و الأخر، فإن قوت يطلق على هذه الافتراضات التأويل: يقول ريكور تكافؤ دون تماثل أو معنى متشابه ويضيف قوت تأويل متماثل، فعلاقة التكافؤ في الترجمة هى إذن تأويل متماثل بين الأصل و الترجمة.

أ) <u>التكافؤ في الترجمة هو تماثل في التأويل بين الأصل و الهدف:</u>

يتبين لنا من كل ما أشرنا إليه أن العلاقة بين النص الأصل و النص الهدف ليست مبنية على تشابه في التراكيب أو الوظيفة أو التأثير، بل هي تماثل في التأويل بينهما يتوصل إليه المترجم بمجموعة من الافتراضات التى يقوم بها جيئة و ذهابا بين الأصل و الهدف. يشرح قوت [31]كيفية القيام بهذا التأويل من خلال استناده إلى مفهوم غرايس: Inference أى الاستدلال. ويرتكز في هذا على الفكرة الأساس: أننا لا نتواصل باللغة لوحدها و لكن بالعلاقة بين اللغة و السياق المحيط، أى أننا نستدل من السياق لتوظيف اللغة توظيفا ملائما في الترجمة.

إن كنه نظرية الملاءمة يتمثل في أن المعنى الذى يتوجب نقله خلال الترجمة من لغة إلى أخرى ينتج عن تطويع العلاقة بين التراكيب اللغوية للنص الأصل و السياق الذى ترد فيه، أى أن التأويل يجب أن يتم فى إطار سياق النص الأصل و نابع منه، وبالتالى فهو لا يأخذ بعين الاعتبار المتلقى كما تدعو إليه نظريات التواصل و الوظيفية.

إن السياق الأصل هو الذى يمكن من القيام بالتأويل و ما على الجمهور المتلقي(المترجم أولا و متلقى الترجمة ثانيا) إلا أن يعي و يفهم الخصوصيات السياقية للأصل

ويحاول أن يقربها إلى ثقافته من دون أن يؤدى ذلك إلى طمسها.

يؤكد بن بنانى[32] أن" الترجمة هى دائما مسألة تأويل مهما كان جنس الكتابة" و يضيف أن عملية التأويل ترتكز أساسا على تحليل النص و فهم كل علاقات التناص فيه.

ب) الحركة الهرمينوطيقية لستاينر:

يؤكد ستاينر[33] أن الفهم يعنى الترجمة و أن الفهم يتطلب التأويل، و بالتالي كل ترجمة هى تأويل. و يرى أن عملية تأويل المعنى فى النص المترجم تتشكل في نوع من الحركة الهرمينوطيقية و التى تتم في أربع مراحل:

-الثقة: وهي أن يعى المترجم أن النص الأجنبى أمامه لا بد و أن يحمل فى طياته شيئا ما يستحق الترجمة، فالمواجهة مع الآخر لن تكون عقيمة. وهكذا يحاول المترجم مقاربة النص و فهمه.

-الاستخلاص: وهنا يقتحم المترجم النص ويستخلص المعنى.

-التملك(الإندماج): وهى عملية حمل المعنى الأجنبى إلى اللغة الهدف و توطينه في البيئة اللغوية و الثقافية الجديدة.

-التعويض: وهى أن يحاول المترجم إحداث توازن بين الأصل و الهدف من دون إفراط أو تفريط؛ بمعنى أنه يكيف دون أن يطمس الآخر.

إن هذه الحلقة الهرمينوطيقية التى يقترحها ستاينر للوصول إلى المعنى تظهر بوضوح مدى التعقيد الذى ينطوى عليه كل فعل تأويلى، و هذا ما يفسر مدى مكابدة المترجم لدى مقاربته النصوص الأدبية شعرا كانت أم نثرا؛ فكيف له أن يؤول معنى هذه النصوص و أين يوجد هذا المعنى؟ هل المعنى هو ما تفصح عنه تراكيب النص أو هو موجود خارج النص أم أنه قابع فى ذهن الكاتب؟

ج) حركة الفهم و التأويل:

باعتبار المترجم قارئا واعيا، فإنه يحاول فهم النص من خلال انصهار معارفه المسبقة مع ما يمثل أمامه فى النص. إن هذا الحوار المستمر بين القارئ و النص، بين التوقعات المسبقة و الكيان النصى الموجود يمثل حركة الفهم و التأويل، وفى هذا السياق يقر جادامر[34] إن كل مترجم مؤول ويقول بأننا لا يمكن أن نقرأ النص إلا بتوقعات معينة، أى بإسقاط مسبق و على ضوء ما نستشفه من بنية النص تتم مراجعة هذه الافتراضات المسبقة مرارا و تكرارا ليتشكل فى النهاية المعنى المراد من كل قراءة.

ينتقد العديد من الباحثين الهرمينوطقيين الأوهام التى تعتقد بالوصول إلى المعنى الموضوعى للنص، من منطلق أن المعنى لا يوجد فى النص لوحده بل إنه يتشكل فى

عملية ذهاب و إياب(un va et vien) بين النص و المتلقى (عملية جدلية أو حوارية)، و لا يمكن للمتلقى أن يفهم النص إلا وفقا لمكتسباته التى نعنى بها معارفه العامة. وهذا ما يطلق عليه"الدائرة الهرمينوطيقية" التى تعتبر و كأنها "دائرة مغلقة". إلا أن بعض الباحثين يرون بأن هذه الدائرة ليست مغلقة بل إنها تمكن من ولوج أعماق النص، ومع تقدم المتلقى في فهم النص يستحوذ تدريجيا على فهم أكثر فأكثر ملاءمة. و يعتبر المتلقى، بالنسبة للهرمينوطيقيين، خاملا تفرض عليه حقائق النص من دون أن يقاومها؛ بل إنه يحاول أن يجعل من التوقعات المسبقة التى يباشر بها النص بوابة للانفتاح على النص و حقائقه، و يؤدي في النهاية إلى انصهار الآفاق بين المتلقي و النص.

خاتمة:

حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين النص الأصل و النص الهدف في الترجمة حتى يتم التخلص من كل ادعاءات و مزاعم الأمانة و الخيانة. إن الدراسات الترجمية المعاصرة تؤكد على وجوب وجود علاقة بين الأصل و الترجمة وإلا فلا مجال للحديث عن نص مترجم، فكل نص يترجم خارج إطار الأصل وبعيدا عن ضوابطه يعد بعيدا عن ممارسة الترجمة ولا يمت لآداب الترجمة بصلة. فالتكافؤ بين الأصل و الهدف علاقة ضرورية بينهما ولا بد من تحديد طبيعته حتى لا يقع المترجم في مواجهة الثنائية القديمة: الأمانة/ الخيانة.

إن التكافؤ في الترجمة بين الأصل و الهدف لا يعود إلى علاقة لغوية خطية مباشرة بينهما؛ فإن حافظ عليها المترجم حافظ على الأمانة وإن خالفها وقع في الخيانة كما تدعو إليها المقاربة اللسانية. كما أن التكافؤ بين الأصل و الهدف لا ينحصر في تشابه في الوظيفة أو التأثير أو الدلالة كما تدعو إليه المقاربات الوظيفية و التواصلية و الدلالية و البراغماتية، و بالتالي لا يمكن أن نقيد الأمانة في الترجمة بمصطلحات الأمانة للوظيفة أو التأثير أو المضمون. ولا ينحصر هذا التكافؤ في شخص المتلقي، من حيث التركيز عليه و على تطلعاته و آماله المتوخاة لدى قراءة النص المترجم وبالتالي الأمانة لا تنحصر في الوفاء للمتلقي أو الجمهور الهدف.

خلصت هذه الدراسة إلى أن التكافؤ بين النص الأصل والنص المترجم هو تماثل في التأويل من منطلق أن كل عملية ترجمة هي فهم وكل فهم هو تأويل، وبالتالي كل ترجمة هي تأويل. يقارب المترجم النص الأصل محاولا استخلاص المعنى الكامن فيه من خلال انصهار معارفه المسبقة مع ما يمثل أمامه في النص فيتشكل حوار بين المترجم

والنص، وفي كل مرة يراجع المترجم افتراضاته وفقا لحقائق النص. إن هذا الحوار هو ما نعنيه بالتأويل و الذي يؤدى في النهاية إلى المعنى المراد ترجمته و توصيله إلى قارئ متطلع على الضفة الأخرى. إن نجاح المترجم في تحقيق تماثل في التأويل بين الأصل و الترجمة سيعفيه من كل ادعاءات الخيانة، بل إنه سيمكنه من تعليل خياراته الترجمية واثقا من أنه يعمل في إطار آداب الممارسة الترجمية خدمة للترجمة لا خدمة لإديولوجيا أو مذهب ما.

المراجع:

-عصفور، محمد: دراسات في الترجمة و نقدها. ط1 (2009)
-مصطفى، عادل: مدخل إلى الهرمينيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار النهضة العربية ط1 (2003)
_Ballard, Michel ; « Créativité et traduction »,in Target 9:1(1997) ;85-11
_Berman, Antoine: La traduction et la Lettre, ou L'Auberge du Lointain; Edition du Seuil,
_Berman, Antoine:L'épreuve de l'étranger ; Paris : Gallimard
_Despoina, Panou, « Equivalence in Translation Theories: A Critical Evaluation , in Theory and Practice » ; in Language Studies :Vol.3.No1,pp :1-6 January(2013)
_Halverson, Sandra, « The Concept of Equivalence in Translation Studies; Much Ado About Something » ; in Target 9 :2 (1997) pp:207-233
_Ladmiral, Jean René ;Traduire :Théorèmes pour la traduction, gallimard(Janvier 2002)
_Laiho, Leena ; « A literary work-Translation and Original, A Conceptual Analysis Within the philosophy of Art and Translation Studies », in Target 19:2(2007) pp:295-312
_Lane Mercier, Gilliane; « Translating the Untranslatable » , in Target 9 :1(1997), pp:43-68
_Leonardi, Vanessa : « Equivalence in Translation, Between Myth and Reality » ;in Translation Journal2000
_Meschonnic, Henry: Poétique du Traduire ;édition vérdier (1999)
_Pym, Anthony: « Natural and Directional Equivalence in Theories of Translation », in Target 19:2(2007),271-294.
_Pym, Anthony; Exploring Translation Theories, NY and

Routledge(2010)
_Ricoeur, Paul : Sur la traduction ; edition Bayard(2004),
_Steiner, George : After Babel, Aspects of Language and Translation(1975) .

الهوامش:

(1)-Cité in: Ladmiral, Jean René ;Traduire :Théorèmes pour la traduction, Gallimard(Janvier 2002).
(2)-Steiner, George : After Babel, Aspects of Language and Translation.Oxford University Press(1975) pp :76-78.
(3)-Meschonnic, Henry: Poétique du Traduire ;édition vérdier (1999),pp :78-79.
(4)- Cité in: Ricoeur, Paul : Sur la traduction edition Bayard(2004),pp :40-41
(5)- Cité in: Ricoeur, Paul : Sur la traduction, edition Bayard(2004),pp :40-41
(6)-Berman,Antoine: L'épreuve de l'étranger.Edition Gallimard (1984); pp :14-15.
(7)-Ricoeur, Paul : Sur la traduction edition Bayard(2004),pp: 10-11
(8)-Ricoeur, Paul : Sur la traduction edition Bayard(2004),pp: 12-13
(9)-Berman, Antoine:L'épreuve de l'étranger ;Op.Cit ;pp :17-18
(10)- Ricoeur, Paul: Sur la Traduction. Op.Cit ;pp: 41-43.
(11)-Ricoeur, Paul ; Sur la Traduction;Op.Cit ;pp :41-43.
(12)- Cité in: Despoina, Panou, Equivalence in Translation Theories: A Critical Evaluation , in Theory and Practice in Language Studies :Vol.3.No1,pp :1-6 January2013.
(13)-Despoina, Panou, "Equivalence in Translation Theories: A Critical Evaluation , in Theory and Practice"; in Language Studies :Vol.3.No1,pp :1-6 January2
(14)- Cité in: Despoina, Panou, "Equivalence in Translation Theories":Ibid
(15)- Cité in: Halverson,Sandra, " The Concept of Equivalence in Translation Studies ;Much Ado About Something" ;in Target 9 :2 (1997)pp:207-233
(16)-Ballard, Michel ; Créativité et traduction,in

Target 9:1(1997) ;85-110

(17)- Cité in: Despoina, Panou, Equivalence in Translation Theories :Op.Cit

(18)-Cité in: Lane Mercier, Gilliane;Translating the Untranslatable, in Target 9 :1(1997), pp:43-68

(19)-Lane Mercier, Gilliane;Translating the Untranslatable, in Target 9 :1(1997), pp:43-68

(20)-Cité in: Lane Mercier, Gilliane; Translating the Untranslatable, in Target 9 :1(1997), pp:43-68

(21)-Cité in: Despoina, Panou, Equivalence in Translation Theories :Op.Cit

(22)-Despoina, Panou, Equivalence in Translation Theories :Ibid

(23)-Cité in: Leonardi, Vanessa : « Equialence in Translation, Between Myth and Reality » ;in Translation Journal2000

(24)-Cité in: Leonardi, Vanessa : « Equivalence in Translation », Ibid

(25)-Meschonnic, Henry: Poétique de traduire ; Op.Cit

(26)-Cité in: Laiho, Leena ; A literary work-Translation and Original, in Target 19:2(2007) pp:295-312

(27)-Cité in: Pym, Anthony; Exploring Translation Theories, NYand Routledge(2010)p59

(28)- Cité in: Halverson, Sandra:The Concept of Equivalence in Translation Studies ;Much Ado About Something;in Target 9 :2 (1997)pp:207-233

(29)-Cité in: Halverson, Sandra: The Concept of Equivalence in Translation Studies ;Ibid

(30)-Cité in: Pym, Anthony :Natural and Directional Equivalence in Translation Theory ; Op.Cit. p: 17-18

(31)- Cité in: Pym, Anthony:Natural and Directional Equivalence, Op.Cit :p18

(32)- ذكره: عصفور، محمد: دراسات في الترجمة و نقدها. ط1 ،2009 صص: 159

(33)-Steiner, George :After Babel ;op.cit ; pp :312-313.

(34)-مصطفى، عادل: مدخل إلى الهرمينيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار النهضة العربية ط1 (2003)صص:12-13.